مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد العاشر – أيلول – 2024 / September

الحجاج البلاغي في سورة مريم

م. د فاطمة عبد زيد شوين الخزاعي [1]
[1] جامعة الكوفة – العراق
Falkhuzai6@gmail.com

ملخص. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الأول بلا أول كان قبله, والآخر بلا آخر يكون بعده, الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين, وعجزت عن نعته أوهام الواصفين, وصلى الله على محمد وآل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين. أما بعد... نسعى في هذا البحث إلى تتبع أهم الحجج التي وردت في سورة مريم, والوقوق على أبرز وسائل الإقناع فيها؛ لمحاججت الكفار والأعداء للسيدة مريم, والنص القرآني حافل بالحجج البلاغية الدامغة التي لا يمكن أن ترد بحجج الكفار الواهية. ووفق ماتقدم قسمت البحث على مبحثين سبقتها مهاد تضمن مفهوم الحجاج البلاغي، وتعريف الحجاج لغة واصطلاحاً وكان نصيب المبحث الخطاب الحجاجي في سورة مريم, أما المبحث الثاني التقنيات البلاغية الحجاجية..

الكلمات المفتاحية: سورة مريم، الخطاب الحجاجي، التقنيات الحجاجية البلاغية.

Abstract. In The Name of Allah Most Gracious Most Merciful. Praise be to God, the first without another after him, whom the eyes of the beholders fail to see, and the delusions of the descriptors fail to describe him, and may God's blessings be upon Muhammad and his pure household and his chosen companions. As for after... In this research, we seek to trace the arguments that appear in Surat Maryam, and to come across the most prominent persuasion therein; The arguments of the infidels and the enemies of Mary, and the Qur'anic text is full of irrefutable rhetorical arguments that cannot be answered

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

by the flimsy arguments of the infidels. According to the foregoing, the research section deals with the argumentative discourse in Surat Maryam, and the second topic is the argumentative rhetoric.

Keywords: Surah Maryam, Al-Hajji speech, Rhetorical reports, Quranic arguments.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

أما بعد...

إن للنص القرآني حضور قوي في مختلف الدراسات العربية بمختلف ميادينها, ولا غرابة في ذلك فهو الحدث الأكبر في الكون, الذي أبهر الأمة به وصرف معظم جهدها لدراسته، ولم يكن ذلك حكرا على تخصص دون آخر، بل هذا هو أمر طبيعي فلا بد ان نعود في دراستنا إلى القرآن الكريم.

عندما نطرح قضية غير متسالم عليها، فإن على طرف ما أن يقدم حججه التي تعضد رأيه وتساند وتفصح عن وجهة نظره واضحة جلية، ولا يكتفي بذلك فقط حتى ينصرف إلى محاولة جعل الطرف الآخر من النزاع مقراً معتقداً بما يراه، رامية من حجاجه إلى إقناعه، إقناع خصمه المتنازع معه، بل وتمثله رأيه وحثه على إنجاز قوله الذي يراه، تاركة رأيه المنافح عنه منبع رأي خصمة مقتنعة به، ذلك وفق ما سمح به الحوار من ظهور الحجاج وسيلة غايتها الإقناع.

ولتحقيق هذه الدراسة قسمت البحث على مبحثين سبقتها مهاد تضمن مفهوم الحجاج البلاغي، وتعريف الحجاج لغة واصطلاحاً وكان نصيب المبحث الخطاب الحجاجي في سورة مريم, أما المبحث الثاني التقنيات البلاغية الحجاجية.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

التمهيد

الحجاج في اللغة والاصطلاح:

الحجاج لغة:

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الحِجاج في اللغة هو من "الفِعل حاجَّ، يحاجّ، و حاجَجَ/حاجَّ، مُحاجَّة وحِجاجاً، فهو مُحاجٌّ، والمفعول مُحاجٌّ للمُتعدّي، وحاجَّ الشخصَ بمعنى: أقامَ الحُجَّة، والدليل؛ لإثبات أنّ الأمرَ صحيح، وبرهَنَ بتقديم الحُجَّةِ، والدليل؛ ليقنعَ الآخرين، وحاجَّ الشخصَ: أي جادلَه، وخاصمَه، ونازعَه بالحُجَّةِ، وناظرَه، ويُعرَّف الحِجاجُ في اللغة أيضاً على أنّه المُجادَلةُ التي يكون سببُها الخلافُ على وجهةِ نَظرٍ ما، ويكونُ الهدفُ منها إثباتُ الرأيِ، وهو الغلبةُ على الخصومِ في الكلامِ، والخطابِ، باستخدامِ الحُجَّةِ والبُرهان" (ابن منظور1997 مج 2، 570).

يصل الحجاج بالجذر اللغوي (ح. ج. ج)، وجاء في لسان العرب أن الحج: القصد... يقال: حاججته حجاجاً ومحاج حتى حججه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها, والحجة: البرهان وقيل: الحجة ما أوقع به الخصم.

و"يكشف المعنى المعجمي للحجاج إحالات على مدى ما تستبطنه الكلمة من دلالات، فيشير المعجم إلى ظهور الخصومة حول قضية معينة تستلزم طرفين متنازعين حولها، كما يكشف – أيضاً – لفظ (الجدل) بوصفه مرادف للحجاج فهو في معجم ابن منظور شدة الخصومة... مقابلة الحجة بالحجة. وبناء على هذا المعطيات المعجمية –إذا ما تجاوزنا ما بين لفظتي "الحجاج / الجدل من أنفاق أو اختلاف" (محمد الطاهر بن عاشورة , 1984، ٣/ ٣١، وينظر: عبدالله مولة، 2007، ١١.) يكون الحجاج حسب حضوره اللغوي أو المعجمي خصومة طرفين بواسطة مجموعة من الحجج والبراهين والأدلة، يقصد كلاهما من الظفر والغلبة على الآخر.

ويضيف المعجم جملة من الأوصاف والنعوت التي تعد موضوع نظر إذا ما ارتبطت بأهل الحجاج، فإيراده حاججته أحاجه حجاجا حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها" شبين اعتناء العرب بالحجاج ومحاولتهم لتأصيل مفهومه داخل الموضوعات التي ترتبط بالخصومة والتنازع، ومن ذلك نجد مؤلفا كجواهر الألفاظ يدعم أوصاف المتحاجين بما وصفتهم به ألسنة العرب، من مثل إن حاج فلج أفحمته حجتي قوي الحجة, وهي تشير إلى وجود اختلاف يحتاج إلى وسيلة تقارب بين الطرفين أو يظهر صحة حجج أحدهما ولعل ألفاظ " جواهر الألفاظ الدالة على أوصاف الحجاج والتي أثبتها مؤلف الكتاب قدامة بن جعفر وهو " ممن يشار إليه في علم المنطق (ينظر: ياقوت الحموي , 1980, ١٧/ ١٢) وله كتاب "صناعة الجدل، ثبت وعي العقل العربي بضرورة الالتفات إلى قضايا الحجاج التي اهتم بدراستها وتوظيفها المتكلمون والمناطق الذين راحوا يستعينون بها في إثبات صحة معتقداتهم، وإبطال معتقدات خصومهم من المذاهب الأخرى, (ينظر: علي محمد علي سلمان، (د. ت)، 5.) فإن كان

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الحجاج يعد من بلاغة المنطق فهو أيضا يعد من أدوات المنطق البلاغي من منطلق أن الدراسات البيانية وضع أساسها وأبان معالمها المتكلمون (ينظر: بدوي طبانة، (د. ت), 12).

وهذا يستدعي منا الوقوف على مجموعة من الكتب البلاغية التي تحدثت عن الحجاج، بوصفه موضوع من موضوعات البلاغة عند العرب، ومحورا رئيسية اعتمدت عليه بلاغتهم الخطابية ولم تخل منه مؤلفاتهم الناجزة (ينظر: قدامة بن جعفر، (د. ت), ٣).

وإذا رجعنا إلى ابن فارس وجدناه يحصر مادة (حجج) في أربع معان الحاء والجيم أصول أربعة: كبرى

1-فالأول: القصد: وكل قصد حج... ثم اختص الاسم القصد إلى البيت الحرام.

2-والأصل الآخر: الحِجةُ، وهي السنة.

3-والأصل الثالث: الحَجاج: وهو العظم المستدير حول العين.

4-والأصل الرابع: الحَجحجةُ: النكوص(ينظر: ابن فارس، 1970, 2/ 30)

الحجاج اصطلاحاً:

فقد ظَهرَ كمُصطلَحٍ في نهايةِ عَقْدِ الخمسينيّات من القرن العشرين؛ وذلك مع مُحاولاتٍ لإقامةِ علمٍ لدراسةِ الخَطابةِ بأنواعِها؛ إذ قدَّمَ حاييم بيرلمان تعريفاً للحِجاج، مُركِّزاً فيه على وظيفتِه، "وهي إقناعُ المُتلقِّي بما يُعرَضُ عليه من خلال الخِطابِ الحِجاجيّ؛ وذلك لاستمالة عقله، والتأثيرِ في سلوكِه، وبذلك يكونُ للحِجاج مفهومان: الأوّل، التحليل، والاستدلال، وتقديم المُبرّرات؛ للتأثير في الاعتقاد، والسلوك، والثاني، عمليّة التواصُل مع الآخرين، باستخدامِ المَنطق؛ بغَرَضِ التأثيرِ فيهم" (قدامة بن جعفر, (د. ت)، 165-167)

لابد عند الحديث عن مفهوم الحجاج اصطلاحا أذ تعود إلى المعاجم الفلسفية التي تحمل في طياتها رؤية للحجاج تساعد في إدراك مفهومة وفق الأطر الحديثة لدراسته، عرفا الحجاج تبع النظرة الفلسفية

الأول: المعجم الفلسفي الذي عرفه بأنه " جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها (ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي,1980, 1/ 446).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أما الثاني: فهو موسوعة لا لاند الفلسفية وعرفته بأنه " مسرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها، أو طريقة عرض الحجج وترتيبها (ينظر: أندريه الاسد،2001, 1/ 44), وتستخلص من هذين المعجمين أمرين، أولهما: أن الحجاج سلسلة من الحجج المتابعة يؤتي بها قصد دعم دعوى / أطروحة معينة أو دحضها، وثانيهما : تأكيد كلا المعجمين على الطريقة التي يتم بها عرض الحجج على الملتقي، وكيفية انتظامها قصد التأثير فيه وإن كان هذا الأمر مضمنة في القول؛ فتوخي طريقة عرض الحجج تساعد الحجاج على أن يكون حجاجه مؤثرة مقنعة في الملتقي، وهذا هو غاية الحجاج، فالحجج وتسلسلها دليل على أن الحجة قوة تدعم أو تنفي الأطروحة وطريقة انتظامها – أي الحجة – قوة مؤكدة لهذا الدعم أو النفي (ينظر: علي محمد علي سلمان,(د. ت), 80).

وتشترك النظرة المنطقية للحجاج مع النظرة الفلسفية في توضيح مفهومه فهو في صناعة تمكن الإنسان من إقامة الحج المؤلفة من المسلمات أو من ردها حسب المنطق، و الإرادة ومن الاحتراز عن لزوم المناقضة في المحافظة على الوضع, والمقصود بالوضع الرأي المعتقد به أو المستلزم به، فتسلسل الحجج في التعريف الفلسفي هو ما تجعل الحجاج محترزا عن لزوم المناقضة في التعريف المنطقي، مع الحفاظ على جوهر الحجاج وهو الوضع أو الدعوى التي تدور حملها المحاجى حتي ينال كل طرف من صاحبه اقتناع نتيجة عرضه للحجج، وحتى يجهد للتأثير في الخصم وتسليمه عن طريق الحجاج الذي وصفه صاحب كتاب التعريفات بأنه "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة" (أندريه الاسد، 2001, 1/ 23).

ومدار الأمر من هذه الإلماحة إلى بعض تعريفات الحجاج في المعاجم الفلسفية أو المنطقية، الوقوف على مفهومه وفق النظرة المعرفية للحجاج أو الاصطلاحية التي تبين عن مفهومه حسب ما تعارف عليه أهله، وهي نظرة قد تكون ضيقة الأبعاد إذا ما قورنت بمفهوم الحجاج وفق الدراسات البلاغية الجديدة, وهو ما يزيد حاجتنا إلى التعرف على مفهوم الحجاج في ضوء بعض النماذج التي درسته، وفي مجموعة من الأطر التي أحاول الوقوف عليها تعرف كيف تحدد مفهوم الحجاج في الدراسات الحديثة، وكيف تعللت طريقة الرؤية إليه ليكتسب هذا التنوع والثراء.

1 .المبحث الأول: الخطاب الحجاجي في سورة مريم

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

1.1. مدخل:

إن للنص القرآني حضور قوي في مختلف الدراسات العربية بمختلف ميادينها – شرعية أو لغوية– ولا غرابة في ذلك فهو الحدث الأكبر في الكون، فاهتمت الأمة به وصرفت معظم جهدها لدراسته، ولم يكن ذلك حكرا على تخصص دون آخر، لأن كل العلوم كانت منبعثة منه، وعليه فمن الطبيعي أن تعود إليه بالدراسة. (ينظر: إيمان درنوني,2013, 23)

وما يهمنا من كل هذه العلوم تلك التي اختصت بتحليل الجانب الدلالي والتداولي للخطاب القرآني وفي مقدمتها علم التفسير الذي تخصص في شرح معانيه من زوايا مختلفة ومتنوعة، فغلب الجانب اللغوي والبلاغي على بعضها، والجانب التشريعي على بعضها الآخر.

إن الدراسات البلاغية والإعجازية تركز على معالجة بناء النص القرآني، وطرائق الصياغة، واستخراج خصائصه البنائية والدلالية.

وتعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت ما يعرف "البلاغة الجديدة" حيث ركزت على جانبين اثنين: البيان والحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع، ولذلك يمكننا اعتبار النص القرآني خطابا حجاجيا لكونه جاء ردا على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيطرح بذلك أمرا أساسيا متمثلا في عقيدة التوحيد مقدما حجج مختلفة، ولعل في اختلاف مستويات التلقي ما يؤكد الصفة الحجاجية للقرآن (ينظر: علي محمد علي سلمان, (د. ت)، 11.).

إن الخصوصية الجوهرية (الاستمالة – التأثير – الإقناع) التي توفر عليها القرآن جعلت منه خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى. لذا يطمح هذا البحث لدراسة (الحجاج في القران الكريم) في الكشف عن الآليات التي وظفها القرآن للإقناع وعليه جاءت الدراسة الموسومة:

إن القصص القرآني هو أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاج بها الناس ويقطعهم عن الجدل والمماحكة، شأنه في ذلك شأن ما جاء به القرآن الكريم من أساليب، كالاستدلال والمناظرة والتعجيز (ينظر: عبد الكريم الخطيب, 1972، 177)

فقد اتخذ القرآن الكريم من القصص بشكل عام سبيلاً للإقناع والتأثير، وضمن القصة أدلة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان فقد يساق الدليل في القصة ويأخذ من واقع الحياة في حوادثها، فتصغي إليه الآذان، وتميل إليه النفوس وترتاح إليه الأفئدة وتتأثر بما فيه من عظات وعبر.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أما فيما يخص غرض السور تباينت آراء العلماء حول الموضوع الرئيس لسورة مريم فقيل: إن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر(ينظر: فخر الدين الرازي التميمي،2004 219) وأكده آخرون وقيل موضوعها هو إثبات اتصافه عز وجل بشمول الرحمة، وأدلتهم في ذلك الترجيح ما ورد في مطلع السورة وخاتمتها، فضلاً عن تكرار لفظ (الرحمن) فيها.

1.2. نماذج مختارة من الخطابات الحجاجية:

لقد تناولت سورة مريم قصص بعض الرسل من أجل تأكيد وحدة الرسالة؛ إذ إن الرسل جميعاً ما أرسلوا إلا لهدف واحد هو إثبات وحدانية الله تعالى وعبوديته التي تستلزم بدورها رحمته لعباده، فقد ظهر هذا الهدف واضحا في تلك القصص، كما أنها تحدثت عنه بأسلوب شيق فيه من قوة البيان والحجة والبرهان ما يجعل المقابل يعترف ثم يقر بالهزيمة، ومن ذلك الحجاج:

1.2.1. أولاً: محاجة المشركين في عيسى

يتضح لنا من سرد الأحداث وتتابعها من أجل إثبات براءة مريم عليه مما سيصفونها به في أثناء حوارها مع الملك، إذ أنها جاءت تحمل بين يديها رضيع وهي بكر فكيف لذلك أن يحدث دون أب، فقد وجهت إليها أصابع الاتهام فقيل لها: (يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) (سورة مريم : 27)(و فلابد لها من حجة قوية تستطيع فيها ردع أولئك الذين تلبستهم النزعة الشيطانية وتبين ذلك من جدلهم، لكن رغم صعوبة الموقف سرعان ما تغيرت الأحوال لتحق الحقائق بالدليل الواضح على نزاهتها، أمام تلك النزعة الشيطانية، إذ نطق عيسى قَالَ (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)(سورة مريم: 30– 32) فكان ذلك برهان كبير يبعد عن أمه كل شك أو ريب، ومنطقة واضحاً يضع الحدود لكل التساؤلات والاتهامات و بذلك تحققت براءة مريم.

1.2.2. ثانياً: ما جاء على لسان إبراهيم ال ومحاجة أبيه له في عبادة الأصنام

فقد فصحت الآيات عن المحاورة المتسمة بالاحترام والأدب الكاملين من إبراهيم لأبيه الذي عاند وأصر على عبادة الشيطان، فالنبي يعلم بأن عبادة الشيطان تؤدي إلى غضب الله عز وجل، فكيف يمكن لإبراهيم أن يقنع والده بالكف عن عبادة الشيطان فنراه يقدم حجته بدعوة خالصة صادقة يقول له (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)(سورة مريم" 44– 43)

1.2.3. ثالثاً: حجاج الذين كفروا في حقائق متعددة منها حقيقة البعث والنشور

ومنها حقيقة الحساب والجزاء، فهؤلاء بجدالهم كانوا يصرون على استحالة البعث بعد الممات، لكن الله عز وجل جاء بالحجة الدامغة التي أسكتت جميع الأفواه وأذعنت كل العقول بقوتها وثباتها إذ قال (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا)(سورة مريم: 67).

1.2.4. رابعاً: ادعاء فريق من الناس اتخاذ الله عز وجل عيسى ابن مريم ولد له

فما عيسى بن مريم إلا عبد الله ورسوله مؤيدا ذلك بالبراهين والأدلة, لكن الملحدين الكفار قد انصدموا من عظمة الموقف الذي جاء به النبي فلفظة ونطقه وهو في المهد، فلم يهتدوا بذلك بل ازدادوا ضلالاً وقالوا هو ابن الله أو هو شرياك لله عز وجل فهم صم بكم لا يعقلون، بعد توالي هذه الأدلة والحجج والتي هي بمثابة ركائز أساسية للإيمان، تشعرنا بقوة الله تعالى وقدرته عز وجل على فعل كل شيء، فلو أراد أمر لا يتعدى قوله (كن فيكون)، فيأتي الله بالحجة البالغة فيقول: (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(سورة مريم: 35).

2 .المبحث الثاني: التقنيات البلاغية الحجاجية

يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار صحة وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يحف بخطابه(ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري,1998 32).

ومن التقنيات الحجاجية البلاغية الآليات البلاغية مثل: الاستعارة والكتابة والتشبيه...

إن الاستعارة والتشبيه والكتابة والمجاز وسائل بلاغية تسهم في تحقيق الإقناع والتأثير من جهة والامتاع من جهة أخرى وهي حجاجه أيضاً، فهي تعبر عن الحجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيراً وإصابة, وتكمن وظيفة هذه الوسائل في سورة مريم:

2.1. أولاً: المجاز

وسيلة بلاغية مهمة ترفد عملية الحجاج إذ إنه يساهم في الامتاع والتأثير، ويمكن عده في الوقت نفسه أسلوباً حجاجياً إذ أنه يعد من الحجج المركزة والأكثر فاعلية، ويشير السكاكي إلى أن الاستدلال المجازي يكون أكثر تأثيراً من غيره فإن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر.

ويمكن القول إن المجاز يؤدي دوراً كبيراً في عمليتي الحجاج والإقناع؛ لأنه من جهة يسهم في أداء وظيفة استدلالية ويتوجه بالأساس إلى عقل المخاطب، ومن جهة أخرى يسهم في أداء وظيفة نفسية، ويستهدف التأثير في نفسية المخاطب.

ومن الأمثلة التي ورد فيها المجاز قوله تعالى: (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)(سورة مريم: 44)

ففي الآية الكريمة مجاز عقلي علاقته السببية، إذ إن والد النبي إبراهيم لم يعبد الشيطان وإنما كان يعبد الأصنام إلا أن النبي إبراهيم, نسب العبادة إلى الشيطان؛ لأنه هو سببها فعمد إلى ذلك كي يضع والده في حقيقة أمره؛ إذ إن عبادة الأصنام نتيجة لتتبع هوى الشيطان وغوايته له فلابد من الانتباه للحقيقة.

وقوله تعالى (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)(سورة مريم: 50)، وفي هذا السياق ترد لفظة (اللسان) لتدل على الذكر الحسن والثناء الجميل (لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) باعتبار أن اللسان هو الة الكلام، فالمجاز هنا مرسل، وهذا يفضي إلى نتيجة واحدة مفادها ابتعاد هؤلاء الأنبياء عن عبادة الأصنام والإسراع بعبادة الله الواحد الأحد الذي يملك الحق في الألوهية وحده دون سواه، وهنا يمكن أن ننوه إلى أن المجاز له قدرة على التأثير في النفس فضلاً عن مخاطبته العقل ما يملك من قوة تأثيرية استدلالية، فهو أنجع وسيلة للتأثير في النفس وتمكين المعنى من القلب.

2.2. ثانياً- التشبيه

يتفق أغلب اللغويين والبلاغيين على أن التمثيل والتشبيه هما لفظان مترادفان بينما يرى الجرجاني أن التشبيه أعم من التمثيل فعنده كل تمثيل هو تشبيه لكن ليس كل تشبيه تمثيلاً؛ لأن التشبيه أعم والتمثيل أخص منه.

بينما في الدراسات الغربية الحديثة يرى بيرلان أن التمثيل "طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة" (عبد السلام كثير،2007, 72) فالتشبيه سواء أكان تمثيلاً أم لم يكن هو تقنية حجاجية لها فاعليتها في الإقناع، وللتشبيهات في سورة مريم ميزة خاصة كونها نصاً قرآنياً فهي تختلف عن تلك التشبيهات التي يأتي بها الناس، والتشبيه في سورة مريم يعد من أهم طرق الاستدلال

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

التي غايتها الإقناع أولاً وآخرة. من ذلك قوله تعالى: (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)(سورة مريم: 17)

نلحظ أن الآية الكريمة قائمة على التشبيه البليغ إذ جاءت كلمة (بشراً) حال من ضمير الفعل تمثل الذي يعود على ذلك الملاك، وكأنه صار جبرئل وهيئة البشر كالشيء الواحدة، إلا أن مريم كانت تتعوذ ورعاً وزهداً على الرغم من ذلك الجمال، فكان أثر ما تمثل لها سلبياً، فما كان لها إلا أن تقول وقالت إني أعود بالتمكن منك إن كنت تقيا فهي تطلب منه أن يبتعد عنها وألا يقترب منها.

2.3. ثالثاً: الاستعارة

تعد الاستعارة وسيلة مهمة من وسائل التأثير والحجاج، وتقوم حجاجيتها عند عبد القاهر الجرجاني على مفهوم الادعاء، فالاستعارة ليست حركة في الألفاظ وإنما طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم على الادعاء.

والاستعارة متي نجحت في استمالة المخاطب لم تعد زخرفة بل تعد نوعا من أنواع المقومات الحجاجية والاقناعية، ويوضح بيرلمان تصوره للاستعارة بقوله: "إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج، لا يمكن أن يحظى بقبولنا"(عبد الكريم الخطيب, 1972، 146) والنصوص القرآنية تزخر بالألوان الاستعارية ولاسيما أن دراسة الأساليب القرآنية في التأثير والاستمالة كثيراً ما يؤدي إلى فهم الصورة القرآنية على أنها طريقة في الاقناع تتوسل بنوع من الإبانة والتوضيح وتعتمد على لون من الحجاج والجدل وتحرص على إثارة المتلقي(ينظر: جابر عصفور، 1993، 93)، ومن أمثلة الاستعارة الحجاجية في سورة مريم قوله تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)(سورة مريم: 4), تحمل هذه الآية الكريمة الكثير من الألوان البلاغية، وتبعاً لذلك تعددت الشروحات البيانية الخاصة.

فلا تخفي الدلالات التي تشير إليها الآية الكريمة، فهي توحي بالضعف الذي راود زكريا فاشتعال الرأس يرمز إلى الفناء وبلوغ العمر منتهاه، وهذا مؤشر ودليل على عدم امكانية الحصول على ذرية، من هنا كانت لهذه الاستعارة أهميتها ووظيفتها الجمالية والفنية في اللغة القصصية وهي ترمز لهذه الواقعة، كما أنها تعد ملمحاً خارجياً في سياق الأقصوصة له علاقته العضوية بالموقف المتمثل بطلب زكريا علت فضلاً عن ما يسمى بالاسترجاع التكراري، ألاّ وهو المعادل الدلالي من قوله وقد بلغت من الكبر عتيا ففي هذا القول استعارة مكنية تخيلية وتشير إلى الضعف والهوان الدال على انتهاء الأجل.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

2.4. رابعاً: الكناية

تعد الكناية مسلكاً من مسالك الاستدلال والحجاج ويشير السكاكي إلى أن البيان الذي يحل محل المجاز مكون أساساً في نظام الدليل فمن أتقن أصلاً واحداً في علم البيان كأصل التشبيه والكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه كتحصيل المطلوب به اطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل، فوظيفة البيان حجاجية تتعلق بكيفية توظيف وجوه البيان من تشبيه أو كناية وغيرهما في سياق تخاطبي معني من أجل تحقيق المطلوب.

فيمكن القول إن الكناية تجمع بين الامتاع والإقناع فهي لا تأتي إلا ومعها الدليل, ومنها قوله تعالى: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)(سورة مريم: 25– 26).

ففي الآية الكريمة كم من الكنايات الحجاجية الغاية منها هي طمأنة قلب مريم وتحقيق الإقناع الكامل فقوله (جنياً) كناية عن صفة (للرطب) إذ عبر عنه بأنه طري ولين وطازج ف(الجني) كناية عن حدثان سقوطه أي طراوته ولم يكن من الرطب المخبوء من قبل؛ لأن الرطب متى كان أقرب عهدا بنخلته كان أطيب طعما(ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور،1984، 112)، كذلك كناية أخرى في قوله تعالى (قري عيناً) فقرة العين كناية عن السرور تشمل العيش وتشمل الأُنس بالطفل المولود وكناية عن ظمأن سلامته ونباهة شأنه.

2.5. خامساً: الطباق

يعد أسلوب الطباق من المحسنات البديعية لإفادة وتحقيق الإقناع، ويعرف بأنه "يقوم على الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة, مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد" (أبو هلال العسكري,1989, 66)

ومن النماذج الحجاجية التي ورد فيها طباق قوله تعالى (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا)(سورة مريم: 73– 74).

في هذه الآية يخبرنا الله عز وجل عن حال الكفار إذ تتلى عليهم آياته بات واضحة الدلالة بينة الحجة وواضحة البرهان؛ إذ أنهم يصدون عن ذلك ويعرضون ويقولون للذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين بأنهم (خير مقام وأحسن نديا) أي أحسن منازل وأرفع دوراً

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فناديهم أعمر وأكثر وارداً وطارقاً، فيقولون كيف تكون ونحن بهذه المثابة على باطل؛ لذا رد الله تعالى عليهم شبهتهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) وأي وكم من أمة من المكذبين قد أهلكها الله بكفرهم.

الخاتمة:

لقد شهد الدرس البلاغي في الآونة الأخيرة تطوراً سريعاً الأمر الذي جعله يتساير مع فن الجدل والمنطق والبلاغة...، وقد ارتبط مصطلح الحجاج مصطلحات عدة، عدت مرادفات له منها: (الجدل، والخطابة، والبرهان، والإقناع) بيد أن المصطلح الأقرب لطبيعة الحجاج هو الإقناع؛ كون الحجاج وسيلة لتحقيق الإقناع فكل نص حجاجي هو بالتالي إقناعي، لكن ليس شرط أن يكون كل نص إقناعي هو حجاجياً، وقد اعتمد النص القرآني في سورة مريم على تحقيق الإقناع بالحجج والبراهين التي يسوقها تلك الحجج القائمة على أدلة عقلية لا يجد الشخص مناصه دون أن يسلم بها، كما أن السورة احتضنت كثير من الوسائل الإقناعية التي جاءت في قصص الأنبياء من أجل إقناع المتلقي بالقضية المطروحة ومن ثم الإيمان بالله تعالى، أما من حيث الروابط والعوامل الحجاجية فقط تعددت واختلفت في السورة، فكان لها أثر كبير في انسجام النص الحجاجي من جهة وتوجيهه و جهة قوية من جهة أخرى.

المصادر

القرآن الكريم

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين في الشعر والنثر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1989م

[2] أندريه الاسد، موسوعة الآلات الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان،(د. ط), ٢٠٠١

[3] إيمان درنوني ، الحجاج في النص القراني، رسالة ماجستير في كلية الآداب، جامعة الحاج خضر, (د. ط)، 2013

[4] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، دط،2/30، 197

[5] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ط), 1997

[6] بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. مصر، (د. ط) ، (د. ت)

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

[7] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي، المركز الثقافي، لبنان، ط3 ،1993
[8] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان،(د. ط), ١٩٨٢
[9] عبدالله مولة، الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م
[10] عبد السلام كثير، مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل ، افريقيا الشرق، المغرب, (د. ط)،2007
[11] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة بيروت، ط2 ،1972
[12] عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية لغوية ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 ،1998م
[13] علي محمد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان, (د. ط), (د. ت)
[14] فخر الدين الرازي التميمي، التفسير الكبير, دار الفكر، ط2 ،2004
[15] قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان- بيروت،(د. ط), (د. ت)
[16] محمد الطاهر بن عاشورة التحرير والتنوير، التونسية، تونس، (د. ط)، 1984
[17] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر، بيروت (د. ط) ١٩٨٠